جامعة مولاي إسماعيل
UNIVERSITÉ MOULAY ISMAÏL

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
FACULTÉ DES LETTRES ET DES SCIENCES HUMAINES

قراءة المشهد الحضري

ذ. محمد الهيلوش

(ملخص)

ملخص

المحتويات

- مفهوم المشهد
- تاريخ تداول المصطلح
- الاتجاهات الكبرى في تعريف المشهد
  - المشهد واقع موضوعي ومادي
  - المشهد طريقة لإدراك العالم
  - المشهد بين المادية والإدراك
- المشهد الحضري؟
- ماهية المدينة؟
- مفهوم المشهد الحضري
- مفهوم القراءة
- منهجية قراءة المشهد
- تعدد المقاربات بخصوص قراءة المشاهد
- منهجية القراءة
- قراءة المشهد الحضري

ملخص

بعض المراجع

- مايك كرانغ (2005)، الجغرافيا الثقافية، منشورات "عالم المعرفة"، العدد 317، الكويت.
- محمد بلفقيه (2002): الجغرافيا القول عنها والقول فيها: المقومات الإبيستيمولوجية، دار نشر المعرفة، الرباط.
- انظر محمد المتقن 2004، في مفهومي القراءة والتأويل، مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، المجلد 33.
- Arnould P., 2003. Discours sur le paysage : à la croisée des regards et des systèmes, *Géoconfluences*.
- Berque A., 1994. *Cinq propositions pour une théorie du paysage*, Paris, Champ-Vallon, Pays/paysages.
- Bertrand G. 1978. Le paysage entre la Nature et la Société, *Revue géographique des Pyrénées et du Sud-Ouest*, t. 49, fasc. 2.
- BESSE J-M (2000), Voir la terre, six essais sur le paysage et la géographie, Paris
- Brossard T., Wieber J.-C., 1984. Le paysage, trois définitions, un mode d'analyse et de cartographie, *L'Espace géographique*, n° 13 (1), pp. 5-12.
- BRUNET R. (1986), l'espace, règle du jeu, éd. Fayard.
- BRUNET R., FERRAS R. et THERY H. (1993), les mots de la géographie : dictionnaire critique, la documentation française/Reclus , Paris.
- Sous la direction de Jacques Lévy et Michel Lussault. (2003), dictionnaire de la géographie et de l'espace des sociétés, éd. BELIN.
- WIEEBER J-C. (1984), Le paysage visible, objet géographique, in le courrier du CNRS ? supplément au n° 57.

مفهوم المشهد

- **مصطلح "مشهد يستعمل بكثرة في** في التعبير والبحث الجغرافي. إلا أن استعماله ليس حكرا على الجغرافيا،
- **هو مصطلح يستعمل في مجالات معرفية وثقافية وعملية مختلفة**، مما يضفي على مفهومه نوعا من الغموض ويجعل محاولة تعريفه من الصعوبة بمكان.
- **غموض مفهوم هذا المصطلح يعود إلى تعدد الرؤى بخصوص المشهد يحول**، من جهة، **دون الاتفاق على تعريف موحد** يمكن اعتماده من طرف مختلف المهتمين **ويفسر**، من جهة ثانية، **تعدد التعاريف** التي اقترحت له على طول مسار تداوله.

تاريخ تداول المصطلح

- **شاع تداول مصطلح "مشهد"، بداية، خلال عصر النهضة الأوربية في الشعر والفن التشكيلي**، بمعنى **"منظر"** لوسط خارجي.
- **ومنذ أواخر القرن 19 بدأ يتسع نطاق تداوله** ليعبر عن معان مختلفة، تبعا لاختلاف الاتجاهات المهنية والأكاديمية التي اهتمت به:
  - فمنها ما تعتبره مجرد **جزء من مجال قابل للمشاهدة؛**
  - ومنها ما **تنظر إليه كـ"علاقة"، أي كنتاج للعلاقة بين المجتمع والمجال والطبيعة؛**
  - وفي الوقت الراهن **طغى على معناه البعد التطبيقي ليقترن بشكل وثيق بالتعمير وإعداد وتدبير المجال.**
  - بل إن الكثيرين **يعتبرون أن مفهوم المشهد هو أصل نشأة التعمير.**

ملخص

مفهوم المشهد

- ولهذا فقد تعددت التعاريف المقترحة لهذا المصطلح عاكسة تباين وجهات النظر بخصوص الدلالات التي يحتملها، لأنه من غير المؤكد أنه يتم التفكير في نفس الشيء من طرف الجميع عندما يتعلق الأمر بمسألة المشهد (J.M. BESSE 2003).
- وهو ما حمل بعض الهيئات الإقليمية التي تشتغل على المشهد على توحيد تحديد مفهوم المشهد في اتفاقيات مشتركة لتفادي تعدد التأويلات المحتملة فيما يتعلق بحدود مضمونه. وعلى سبيل المثال نذكر الاتفاقية الأوروبية حول المشهد التي تعرفه بما يلي:

"Le paysage désigne une partie de territoire telle que perçue par les populations, dont le caractère résulte de l'action de facteurs naturels et/ou humains et de leurs interrelations".

Convention européenne du paysage, Florence, 2000.

- لكن ذلك لم يحسم الجدل المستمر حول تدقيق ماهية المشهد، بحيث يمكن أن نقف عند أكثر من اتجاه بهذا الخصوص:

الاتجاهات الكبرى في تعريف المشهد

- "اشتقاقيا، المشهد هو ما يشاهد من مجال، أي ما تراه العين خلال لحظة المشاهدة من خلال نظرة واحدة، أي أنه هو "مرمى البصر« (R. BRUNET, R. FERRAS et H. THERY 1993) .
- وحسب تعبير (NURAY 1982)، المشهد هو "ما أراه" أي سحنة ومظهر مجال حينما ننظر إليه (NOIRFALISE 1988). فالمشهد إذن هو جزء من مجال كما يظهر للملاحظ.
- هذا التعريف اللغوي الذي يختزل المشهد فيما تلتقطه العين فوق جزء من سطح الأرض لحظة النظر إليه، لا يستوعب كل الدلالات التي يحتملها هذا المصطلح من وجهات نظر متعددة ومختلفة والتي يمكن اختزالها في ثلاثة اتجاهات كبرى:

ملخص

مفهوم المشهد

- المشهد واقع موضوعي ومادي

هذا الاتجاه يختزل المشهد في المعطيات المرئية للعالم المحيط بنا. فهو تعبير عن تنظيم لعناصر طبيعية وبشرية.

- فهو. وفق هذا الرأي . منتوج مجالي للمجتمعات، وذلك لدواعي اقتصادية وثقافية وسياسية. وهنا تأكيد على البعد المجالي للمشهد.
- فوفق هذا الموقف، يكاد يكون الفرق بين المشهد والمجال منعدما بل ومنعدما تماما بالنسبة للبعض بالرغم من كون كل مجال يمكن أن يشتمل على عدة مشاهد.

- المشهد طريقة لإدراك العالم

- هذا الاتجاه بنظر إلى المشهد كمرآة للروح أي أنه صنيعة لروح الإنسان. فهو ينتج عن إدراك شخصي خلال لحظة معينة:
- أي أنه بناء خاص بكل شخص، وذلك بناء على النموذج الإدراكي لشخصيته وثقافته والحضارة التي يعيش فيها، وكذلك حسب رغبته في الفهم وإرادته في الفعل.
- وبالتالي فإن نفس المجال يمكن أن يولد العديد من الصور أي العديد من التمثلات بالنسبة لأشخاص مختلفين.

- المشهد بين المادية والإدراك

- هذا الاتجاه الثالث حاول التوفيق بين الاتجاهين السابقين معتبرين أن المشهد هو بين الواقعي والمتمثل: أي بين المجال والصورة. فهو "في نفس الوقت مجال ورؤية لهذا المجال".
- هذا الاتجاه يعتبر أن ما يوحي به المشهد ليست بطبيعة الأشياء حقيقة وليست بتجلياتها. فالمشهد إذن هو في نفس الوقت موضوعي وذاتي، طبيعي وثقافي، خيالي ومادي، فردي واجتماعي.

المشهد الحضري؟

ماهية المدينة؟

- إشكالية تحديد الظاهرة الحضرية وحدودها الجغرافية
- المدينة والمديني؟
- الإطار المادي والإطار الاجتماعي والثقافي؟

مفهوم المشهد الحضري

- المشهد الحضري هو صورة جزئية للمدينة، فهو بالتدقيق عدة صور للمدينة.
- فالمشاهد هي أجزاء انتقائية بالرؤية للواقع الكلي للمدينة .
- لذلك يمكن القول أن المشهد هو من صنع النظرة انطلاقا من موقع معين وزاوية معينة وحالة نفسية معينة و...
- المشهد الحضري ليس مجرد تركيب لعناصر مادية (ملموسة)، وليس فقط تعبيرا هندسيا، أو تشكيلا جماليا، بل هو منتوج ثقافي أيضا، وإطارا سوسيو مجالي وواجهة رمزية؛
- وهو أيضا شاهد على تاريخ المدينة وأنماط تدبيرها وخيارات تهيئتها؛
- وهو غير جامد بل حي بنشاطات "ممارسيه أو معاشيه".

- لكن، وعلاقة بمجالات اهتمامكم (الجغرافيا الحضرية والتعمير)، من الطبيعي أن يتركز الاهتمام على المرئي من المشاهد بصفة أساسية مع الأخذ في الحسبان الأبعاد غير المادية للمفهوم.
- ففهم المشهد يتطلب أولا تحليل مكوناته المرئية، ثم تفكيك العلاقات الديناميكية القائمة بينها، ثم بحث الاستعمالات والتمثلات المختلفة التي تخصه.

مفهوم القراءة

إذا اقتبسنا تعريفها من الدراسات النقدية والأدبية، يمكن القول أن القراءة هي عملية فك الرموز حتى تصبح المعاني واضحة، وذلك من خلال:

- التلقي الإيجابي للمقروء: أي تأمله بعين نقدية؛
- معرفة الطريقة التي تشكل بها؛
- محاورته للوصول إلى ما يشكل تفرده وتميزه عن سواه.

- والقراءة عملية غير محايدة تقتضي تدخل القارئ بمعارفه المسبقة ومكتسباته السابقة . كما أنها تأويل بمعنى أنها تبحث عن الدلالات الرمزية.
- أما فيما يتعلق بالمشهد، يمكن القول أن القراءة هي طريقة عمل تمكن من تحليل المشهد وفهم تنظيمه وتاريخه. فهي وسيلة لفهم المشهد من خلال فك شفرة العلاقات بين العناصر الجغرافية والرمزية [الثقافة، القيم...] والبشرية.

ملخص

في مفهوم قراءة المشهد

- **منهجية قراءة المشهد**

تعدد المقاربات بخصوص قراءة المشاهد

- نظرا لتعدد واختلاف الاتجاهات العملية والأكاديمية التي تتخذ من المشهد حقلا لنشاطها، تتعدد وتختلف القراءات لهذا المشهد، مما يجعل كل قراءة عبارة عن وجهة نظر خاصة وجزئية:
  - فالمهتم بالبيئة يتعاطى مع المشهد كمنظومة بيئية؛
  - بينما يراه المؤرخ كإرث ثقافي للحضارات، فينصب اهتمامه على البحث عن آثار الأفراد والمجتمعات على المشهد؛
  - هذا ويهتم عالم النفس من جهته بسيكولوجية الإدراك، فهو لا يعتبر من المشاهد إلا المشهد المدرك.....
- وعلى العموم يمكن القول أن قراءة المشهد الجغرافي تتم من خلال مقاربتين أساسيتين:
  - مقاربة ذاتية تلقائية، وهي قراءة ذاتية للملاحظ من خلال المرشحات العاطفية والثقافية؛
  - ومقاربة علمية موضوعية من خلال تطبيق شبكة للقراءة على المشهد مبنية انطلاقا من نماذج معروفة للتنظيم المجالي.
- هذه القراءة الأخيرة هي التي تعني المهتم بالبعد المادي للمشهد، كالجغرافي والمختص في التعمير، وهي التي تقوده إلى تلبية أهدافه وغاياته العلمية والتطبيقية. أما القراءة الأولى فلا تنتج إلا صورة حسية يتلقاها ملاحظ المشهد.

منهجية القراءة

تتمحور منهجية قراءة المشهد الجغرافي حول عمليتين أساسيتين هما الوصف والتحليل: يساعد الوصف على تحليل المشهد عبر تحديد خصائصه، وذلك من خلال مكوناته البصرية الأساسية التي تمكن من مقارنته مع مشاهد أخرى. أما التحليل فيهتم بمناقشة إشكالية العلاقات بين مختلف عناصر المشهد لفهم سيرورات تشكيله.

- **الملاحظة والوصف:** يقود الوصف إلى تفكيك تركيبة المشهد من خلال:

- تحديد العناصر المكونة للمكان؛
- إبراز خصائصها المورفولوجية والوظيفية؛
- تصنيفها في مجموعات متجانسة (وادي، هضبة، غابة، سكن...)؛
- توضيح كيفية تمركزها بالنسبة لبعضها البعض.

ويرتكز الوصف على الملاحظة، ويتم بالاعتماد على الأحجام والأشكال والخطوط والألوان والضوء والحركة. وفي حالة قراءة المشهد في الميدان، يعتمد الوصف أيضا على الأصوات والروائح واللمس والذوق. هذا ويتم الوصف عبر ثلاثة مراحل أساسية:

- أولا: تحديد المشهد في حدوده البصرية وتقسيمه إلى عدة وحدات وتحديد حدودها؛
- ثانيا: تحديد أهم العناصر الخطية (الطرق، المجاري المائية، الحدود...) والنقطية التي تهيكل المشهد؛
- ثالثا: وصف مكونات كل وحدة.

- **التحليل :** يهتم التحليل بمناقشة تنظيم المشهد وديناميته وتفسير سيرورة تشكيله، وذلك ببحث العلاقات بين مختلف عناصره. ويتم التحليل ب:

- استخراج الفاعلين والرهانات والإكراهات التي تقف وراء تشكيل المشهد،
- وكشف الديناميات الماضية والراهنة التي طبعت سمات تطوره في الزمن.
- هذا ويجب أن يهتم تفسير المشهد بغير المرئي لأن المشاهد هي أكثر من تشكيلات على سطح الأرض أو مجرد عوالم خارجية. فهي مثخنة بالدلالات والرموز وبالتالي فإن فهمها يطرح فكرة العمق.

- **قراءة المشهد الحضري**

- يرتبط مفهوم المشهد الحضري بمفهوم المدينة أو المجال الحضري. وبغض النظر عن الصعوبات التي يطرحها مفهوم هذه الأخيرة، يمكن اعتبار المدينة أنها مجال ذو مكونات ديمغرافية واقتصادية واجتماعية وثقافية وحضارية. فهي تتميز بالتركيز المجالي للسكان والسكن وللرأسمال وعوامل الإنتاج والأنشطة الاقتصادية غير الفلاحية.
- تتمايز المدن عن بعضها البعض بمواضعها ومواقعها وبتصاميمها وبطبيعة أنسجتها الحضرية، وكذلك بأنشطتها ووظائفها.
- ويمتد المجال الحضري من المركز إلى الأهداب. هذا الامتداد يعكس تصميم المدينة ومراحل وأشكال نموها. لذلك فإن قراءة المشهد الحضري تقتضي وصف وتفسير كل العناصر التي تشكل مورفلوجية المجال الحضري والتي تتحكم في توجيه امتداده وتوسعه وفي أشكال استعماله. فالقراءة يجب أن تشمل العناصر التالية:

- **موضع وموقع المدينة:** لهذين العنصرين دور كبير في تشكيل مشهد المدينة وذلك بناءا على الخصائص الطبوغرافية للمكان الذي أقيمت عليه المدينة وإمكانيات الاتصال بالمجال الجهوي والوطني وحتى الخارجي، وبناءا على الإمكانات الاقتصادية التي يتيحانها.

- **تنظيم مجال المدينة:** يجب الاهتمام بتصميم المدينة (هل هو منظم أم غير منظم) وببنية النسيج الحضري من المركز إلى الأهداب (كيف تهيكل مجموع الوحدات المكونة للمجال الحضري هذا الأخير؟). كما يجب الاهتمام بالنمط المعماري للمدينة (إسلامي، كلونيالي...) وبنمو المدينة وأشكال توسعها.

- **البنية التحتية:** خاصة الشبكة الطرقية بحيث يجب تنميطها ووصف أشكالها وإظهار كيفية انتشارها وهيكلتها للمشهد الحضري.

- **السكن الحضري:** يجب تنميطه حسب طبيعته (هش، صلب...) وأنواعه (فردي، جماعي، فيلات...) وهندسته (تقليدي، عصري...). كما يجب وصف توزيعه في المجال.

- **الأنشطة الحضرية:** يجب تنميطها ضمن قطاعات كبرى بالإضافة إلى توضيح طبيعتها وأشكال تمركزها بالمجال (أحياء متخصصة، المحاور، التشتت...).

- **التجهيزات والمرافق العمومية:** يجب تصنيفها (إدارات، تعليم، صحة، ...) وإبراز أشكال تمركزها.

- **المناطق المفتوحة:** يتعلق الأمر بأجزاء المجال الحضري غير المبنية (الساحات، المناطق الخضراء...)، يجب تصنيفها ووصف أشكالها (مهيأة، غير مهيأة...) وتمركزها بالنسبة للمجال الحضري./....

نهاية الملخص